حرب الحرائق والمولوتوف

ينشغل بال الزعامة الاسرائيلية، بركنيها الليكودي والمعراخي وتوابعهما الحزبية، هذه الايام، في البحث عن طريقة «مثلى» لوضع حد للانتفاضة المستمرة، في الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ ستة شهور. وكلما طوّرت الانتفاضة احد أشكال نضالها، او رفعت من فاعلية شكل آخر، او دخلت هي ذاتها طوراً جديداً بشكل مصاعب اخرى وتكلفة اضافية للاحتلال، قفز الزعماء الاسرائيليون الى الواجهة لاطلاق تهديداتهم المذيلة، باستمرار، بوعد جديد لوضع حدّ لما يعتبرونه «ارهاباً وأعمال شغب» في المناطق المحتلة، حتى اضطرت أوساط صحافية اسرائيلية، ازاء انكشاف الحقائق المعاكسة، الى اطلاق عبارات السخرية المرّة، ذات النكهة الانتقادية الحادة، للتخبط الذي ميّز مواقف هذه الزعامة، التي فشلت، حتى الآن، في معظم خطواتها التي اتخذتها طوال الشهور الماضية، باستثناء مقدرتها على اعادة تكرار تهديداتها، المصحوبة، أيضاً، بوعد جديد بوضع حد للانتفاضة، وهو أمر يبدو انه أفلت، تماماً، من بين أيديها. ومما قالته هذه الاوساط: «ان الانتفاضة لم تمت، على الرغم من مرور ستة شهور؛ وأكثر من ذلك، بدأت تأخذ أشكالاً وصيغ مختلفة. ومن حين الى آخر، يهدئنا رئيس الوزراء، اسحق شامير، ورئيس الاركان، دان شومرون، بالقول ان الانتفاضة على وشك الاختفاء في غضون يومين او ثلاثة. وكرد على ذلك، يزيد الشبان الفلسطينيون نشاطاتهم، فيزداد القتلى، ويرمى عدد أكبر من القنابل الحارقة، وتحرق مزارع وحقول، أكثر فأكثر. فالانتفاضة مستمرة في المستقبل المنظور، طالما ظل الفلسطينيون في المناطق [المحتلة] يشعرون بأنهم محرومون من حقوقهم السياسية». وأضافت هذه المصادر، انه مع ذلك، «يعتقد وزير الدفاع، اسحق رابين، بأن على العرب التعلم من فشلهم في الماضي [في الفترة ما] بين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ و [فترة] ١٩٤٨، والاّ يكرروا الاخطاء ذاتها [التي ارتكبوها]. وفي هذا الحال، سوف يكون رابين مستعداً ' لمحادثات عمل' معهم... [ولكن] هل نستطيع العودة الى ماضي ما قبل الانتفاضة تماماً، كما لو ان شيئاً لم يحدث، وان مئتي فلسطيني لم يقتلوا، وان الآلاف [لم] يجرحوا، وان اكثر من ١٠٠٠٠ [لم يعتقلوا]» ؟ (يهودا ليطاني، «ما هي دروس الانتفاضة»، **جيروزاليم بوست**، ١٧/٦/١٩٨٨).

لقد نشأ وضع راهن جديد لم يجر التعود عليه من قبل. وهذا الوضع، على الرغم من قساوته، وتحمّل المواطنين، في الضفة والقطاع، آلاماً كثيرة بسببه، فهم لا يزالون مصممين على الاستمرار في مقاومتهم للاحتلال. «فقد تكلف عمال الحدادة والتجار، على سبيل المثال، خسائر كبيرة، بسبب الاضرابات. غير انه، وعلى الرغم من قول احدهم انه متعب ويعاني وطأة الخسارة بسبب الاضرابات وغلق المحال [التجارية]، الا انه يؤكد ان جميع المتاعب كانت ذات فائدة؛ فالناس لم يقوموا بذلك كله من اجل التراجع. فبعد ستة شهور [أصبحت] الانتفاضة، دون شك، انفجاراً لحالة مزمنة من رفض الأوامر. انه وضع جديد راهن غير طبيعي. فقد تزايد النضال ضد السلطات الاسرائيلية وأصبح [نضالاً] اقتصادياً، [حيث] لا يدفع الفلسطينيون الضرائب، [وذلك] تلبية لنداء البيانات [التي تصدرها القيادة الموحدة] وكنتيجة للاقتصاد المتردي الذي تسببت به أعمال الشغب. وهناك، أيضاً، معركة ايقاف دعم م.ت.ف. المالي [للسكان]. فالامدادات المالية تضع الشحم في عجلات الثورة. انهم [القادة] يستطيعون تأمين الرواتب للمضربين من اصحاب الدكاكين والعمال، [وكذلك] لعائلات المعتقلين، وعائلات القتلى، والجرحى. يستطيعون مساعدة موظفي الادارة المدنية والشرطة، [وحتى تأمين المال] للقيادة نفسها» (**المصدر نفسه**، ١٠/٦/١٩٨٨).